السلسلة الأولى من إصدارات

منهج ابن ظفر الصقلي في تفسيره بعنوان

ابن ظفر الصقلي (ت 567 هـ) ومنهجه في إيراد الإسرائيليات في تفسيره الينبوع

دكتور عبد الله مرو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

السلسلة الأولى من إصدارات:

منهج ابن ظفر الصقلي في تفسيره بعنوان

ابن ظفر الصقلي ت 567 هـ ومنهجه في إيراد الإسرائيليات في تفسيره الينبوع

تأليف : الدكتور عبد الله مرو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وجعله قانونا عاما معصوما، ما فرط فيه من شيء، يعظ مسيئا، ويعد محسنا، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقين، وسيد المرسلين محمدﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

لقد قيض الله عز وجل أعلاما أفذاذا لتبيان معاني كتابه، واستنباط أسراره وأحكامه، وكان ممن أدلى بدلوه في ذلك الإمام النحرير ابن ظفر الصقلي (ت 567 هـ) بتفسير وسمه ب" ينبوع الحياة في تفسير القرآن الكريم"، حيث برع في ذلك، وسلك منهج التفسير الأثري، إذ احتوى على ثروة علمية هائلة تتمثل في الآثار التي أوردها، والمناقشات العلمية التي خاضها، والأحكام الفقهية التي عرضها إلى جانب المباحث اللغوية والمسائل النحوية والنكت البلاغية، غير أنه لم يسلم كغيره من المفسرين من إيراد الإسرائيليات، فارتأيت بذلك أن أصدر هذه الرسالة مبينا فيها منهجه في ذلك قصد تبرئة تفسيره من الطعن فيه وما قد يُنقص من شأنه.

وقد كان عملي في ذلك بعد المقدمة وترجمة موجزة لابن ظفر الصقلي على شقين: مباحث بينت فيها مدلول الإسرائيليات، وسبيل تسربها إلى كتب التفسير، وأهم أقطاب أعلامها، وموقف العلماء منها. وشق ثان بينت فيه منهج ابن ظفر رحمه الله في إيراد الإسرائيليات،ثم ذيلته بخاتمة متضمنة لأهم نتائج البحث.

والله اسأل التوفيق والسداد ،فما كان فيه من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان، وما كان فيه من صواب فمن الله. والحمد لله أولا وآخرا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول : ترجمة ابن ظفر الصقلي[1].

نسبه: أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر (بفتح الظاء والفاء) الصقلي المنعوت بحجة الدين؛ النحوي اللغوي .

مولده ونشأته ورحلاته: ولد بمكة ، ثم قدم مصر في صباه ، وقصد بلاد إفريقية، وأقام بالمهدية مدة ، وشاهد بها حروبا من الفرنج ، وأخذت من المسلمين وهو هناك ، ثم انتقل إلى صقلية ، ثم إلى مصر ، ثم قدم حلب ، وأقام بمدرسة ابن أبي عصرون ، وصنف بها تفسيرا كبيرا.

شيوخه: أخذ عن أبي بكر بن العربي، وأبي بكر الدباغ، وأبي بكر الطرطوشي، وأبي مروان بن مسرة.

مؤلفاته: له تصانيف عدة منها: له تصانيف، منها : ينبوع الحياة – (خ)، في تفسير القرآن، اثنا عشر مجلدا، و (أنباء نجباء الابناء – ط) ، و (خير البشر بخير البشر – ط)، و (سلوان المطاع في عدوان الاتباع – ط)، و (الرد على الحريري في درة الغواص) و (المطول) في شرح مقامات الحريري، و (التنقيب على ما في المقامات من الغريب – خ) و (الاشتراك اللغوي والاستنباط المعنوي) و (ملح اللغة).

وفاته: توفي رحمه الله بحماة عام 567هـ، وقيل 565 وهو مرجوح.

---

[1] - وفيات الأعيان لابن خلكان 4/ 395ـ396، سير أعلام النبلاء 20/ 522ـ523، معجم المؤلفين 10/ 241، الأعلام للزركلي 6/ 230ـ231.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني: منهج الإمام ابن ظفر الصقلي في الإسرائيليات.

يجمل بي قبل أن أستعرض منهج ابن ظفر رحمه الله في إيراد القصص، وموقفه من الروايات الإسرائيلية، أن أقف عند مفهوم الإسرائيليات، وأقسامها، وموقف العلماء منها.

المطلب الأول: مدلول الإسرائيليات.

كلمة إسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى إسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام [2]. ولفظ " الإسرائيليات" وإن دل على أخبار اليهود في التفسير، فإنه يدخل فيه كذلك أخبار النصارى، إلا أن ثقافة اليهود كانت غالبة عليه؛ لشدة اختلاطهم بالمسلمين منذ بدء الإسلام.

وعليه، فإن مدلول لفظ الإسرائيليات لم يقتصر على تلك القصص والأحدوثات التي يكون مصدرها بني إسرائيل(اليهود)، بل تعداه إلى ما شمله التفسير من أحاديث وأساطير، وقصص قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي، أو نصراني، أو إلى أي مصدر آخر.

المطلب الثاني: تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير

لم يتعرض القرآن لجزئيات الأحداث والأخبار، كما تعرضت لها التوراة والإنجيل، اللتان أسهبتا في هذه القصص والأخبار عن الأولين، في حين اكتفى القرآن الكريم بذكر محل العبرة، واستغنى عن التفاصيل الجزئية.

---

(2) – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص 11.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد تسرب دخول ذلك إلى التفسير منذ عهد مُبَكِّر وليس بِدْعا؛ إذ كان الصحابة يَمُرُّون على قصص القرآن، فيجد بعضهم من نفسه مَيْلاً إلى استيفاء جزئياتها، ولم يكن من يجيبهم عن ذلك إلا نفر من مسلمة اليهود، غير أن مجال السؤال في ذلك ضيق، فلم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، بل كانت أسئلتهم لا تعدو البحث عن بعض ما يوضح القصة، مع توقفهم فيما أخذوه عن أهل الكتاب، لما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: " كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ "[3].

فلم يكن صحابة رسول الله ﷺ يعدلون عما ثبت عن النبي ﷺ إلى سؤال أهل الكتاب، كما كانوا لا يخوضون في الجزئيات التي تعد ضربا من العبث وتضييع الأوقات، مثل: السؤال عن لون كلب أهل الكهف، والبعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ومقدار سفينة نوح. . . إلخ[4].

كما أنهم لم يكونوا يسألون عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام .

وجماع القول لم يخرج الصحابة رضوان الله عنهم إزاء الروايات الإسرائيلية عن دائرة الجواز التي حدها لهم النبي ﷺ.

إضافة إلى ما سبق يرجع تسرب تلكم الروايات إلى التفاسير إسلام طائفة من أهل الكتاب مثل: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن جريج

(3) - صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: " لا تسالوا أهل الكتاب عن شيء" رقم 6928.

(4) -ينظر التفسير والمفسرون للذهبي 1/ 169-170.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرومي، إذ رووا روايات في جزئيات كثيرة وتفاصيل عدة سكت عنها القرآن الكريم.

ويجمل بي في هذا المقام أن أذكر كلاما جامعا مانعا لابن خلدون في كتابه الماتع " المقدمة" يستعرض فيه أسباب تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير؛ إذ أرجعها إلى ما هو اجتماعي وما هو ديني فقال رحمه الله :" وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ! بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية. فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم، في أمثال هذه الأغراض، أخباراً موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات. وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صيتهم وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ" [5].

ثم تلا عصر الصحابة التابعون الذين توسعوا في الأخذ بتلك الروايات الإسرائيلية، فحشوا تفاسيرهم بالكثير من ذلك ومن أشهرهم: مقاتل بن سليمان (ت 150هـ).

ثم استمر هذا الشغف والولع بنقل تلك الأخبار عبر الأزمان حتى امتلأت بها كتب التفسير من مثل الثعلبي وغيره على اختلاف منهج المفسرين في ذلك بين إيرادها والسكوت عنها وبين نقدها وبيان عِورها وضَعفها.

المطلب الثالث : أقطاب الروايات الإسرائيلية:

لا يلبث المتصفح لكتب التفسير أن يلحظ أن مدار الروايات الإسرائيلية على أربعة أعلام: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج.

وقد ارتأيت في هذا المقام أن أعرض ترجمة موجزة لكل واحد منهم:

- **عبد الله بن سلام**[6]: الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الاسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي ﷺ.

حدث عنه أبو هريرة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن معقل، وعبد الله بن حنظلة بن الغسيل.

---

[5] - مقدمة ابن خلدون ص 252.

[6] - ينظر سير أعلام النبلاء 2/ 414 وما بعدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسلم وقت هجرة النبي ﷺوقدومه، وقصة ذلك مشهورة معلومة.

توفي عام ثلاث وأربعين.

- **كعب الأحبار**[7]: هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فكان يحدثهم عن الكتب الاسرائيلية، ويحفظ عجائب ، ويأخذ السنن عن الصحابة.

وكان حسن الاسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء، ت بحمص سنة 32 هـ.

- **وهب بن منبه**:[8] ابن كامل بن سيج بن ذي كبار العلامة الاخباري القصصي، أبو عبد الله اليماني الذماري الصنعاني، مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين.

أخذ عن ابن عباس، وأبي هريرة – إن صح – وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص على خلاف فيه وطاووس.

روايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الاسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب، قال العجلي: تابعي ثقة، كان على قضاء صنعاء.

توفي سنة 110 هجرية.

- **عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج**[9]: هو أبو خالد – أو أبو الوليد – عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الأموي مولاهم – أصله رومي نصراني. كان من علماء

---

[7] - السابق 3/ 490 وما بعدها.

[8] - ينظر سير أعلام النبلاء 4/ 546 وما بعدها.

[9] - السابق 6/ 325 وما بعدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مكة ومحدِّثيهم، وهو مِن أول مَنْ صنَّف الكتب بالحجاز، وهو قطب الإسرائيليات في عهد التابعين.

روى عن أبيه، وعطاء بن أبي رباح، وزيد بن أسلم، والزهري، وغيرهم. وروى عنه ابناه: عبد العزيز ومحمد، والأوزاعي، والليث، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وحماد بن زيد، وغيرهم. قال أبو سعد: ولد سنة 80 هـ (ثمانين)، وأما وفاته فمختلف فيها، فمنهم مَن قال: سنة 150 هـ (خمسين ومائة)، ومنهم مَن قال: سنة 159 هـ (تسع وخمسين ومائة)، وقيل غير ذلك.

المطلب الرابع: موقف العلماء من الإسرائيليات.

اختلف العلماء في جواز التحدث بالأخبار الإسرائيلية على أقوال، وسبب اختلافهم في ذلك ورود أحاديث وآثار في الباب، بعضها تجيز، وأخرى تمنع، إلا أن العمدة في ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "(10)

وللتوفيق بين الأقوال أورد كلاما للحافظ ابن حجر الذي بين فيه معنى رفع حرج التحديث عن بني إسرائيل: " لا حرج أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية،

(10) – صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل رقم 3274.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وقيل: معنى قوله "لا حرج" لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب، فإن ذلك وقع لهم كثيرا"[11]

ثم عرج رحمه الله على نقل رأي كل من **مالك والشافعي** في حكم الروايات الإسرائيلية فقال: " قال مالك: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا". . . " وقال **الشافعي**: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم" ولم يرد الإذن، ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه"[12].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنواع الإسرائيليات، والموقف من كل نوع منها، فقال في رسالته الماتعة: " ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح. **والثاني:** ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجوز حكايته؛ لما تقدم. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر

---

(11) – فتح الباري 6/ 498.

(12) – السابق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا. ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسي من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن، مما لا فائدة من تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز"اهـ[13].

وجماع القول إن نقل الأخبار الإسرائيلية على ثلاثة أنواع:

الأول: ما ينقل عنهم مما يوافق شرعنا، فهذا صحيح لا حرج في روايته.

و**الثاني**: ما ينقل عنهم مما يخالف شرعنا، فهذا باطل يطوى ولا يروى.

و**الثالث**: ما ينقل عنهم مما سكت عنه، فلا هو من الأول ولا من الثاني، فهذا لا حرج في روايته، دون تصديقه أو تكذيبه.

المبحث الثاني: منهج ابن ظفر في إيراد الإسرائيليات

تسربت الإسرائيليات إلى كتب التفسير بين مقلل ومغرق في إيرادها، وبين منتقد لها، ومتجاوز عنها، ومفسرنا رحمه الله شأنه شأن غيره لم يسلم تفسيره منها.

وقبل أن نبين منهجه في ذلك، ونفصل القول فيه تفصيلا، يجمل بي أن أشير إلى أنه رحمه الله قبل أن يشرع في ذكر القصص القرآني نبه إلى المقصد من ذلك، فقال رحمه الله: " في ذكر قصص الأنبياء آية تهدي إلى صدق النبي ﷺ وصحة نبوته؛ لأنهم

(13) – مقدمة في أصول التفسير ص 100.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يشكون في أميته، ولا في أنه لم يطلب العلوم ولم يجالس العلماء، ثم أتى بقصص الأنبياء على ما هي في الكتب المنزلة، التي لا يعلمها إلا أفراد آحاد من أهلها، وفيه مواعظ، وحكم، وسنن، يهتدى بها، وعقوبات تتقى باجتناب أسبابها، وتسلية للرسول، وحظ على التأسي بإخوانه المرسلين، وبشرى له وللمؤمنين بحميد العاقبة"اهـ(14).

أما منهجه في إيراد الإسرائيليات، فلو تمكنا من قراءة مقدمته التي اعتورها طمس فاحش حال دون وضوحها؛ لربما وقفنا على ما خطه بنفسه في ذلك.

غير أنه من خلال تتبع تفسيره يتضح منهجه بجلاء، فقد أغرق رحمه الله تفسيره بها وخاصة في قصص الأنبياء، إلى حد الإفراط، إذ كان رحمه الله مولعا بالقصص والأخبار الإسرائيلية، إلى درجة أنه عقد لها فصولا وعناوين خاصة، أطلق عليها تارة " ذكر القصة مستوفاة إن شاء الله تعالى"، وتارة أخرى" ذكر القصة جامعة إن شاء الله" وتارة أخرى" ذكر القصة" ملأها بسرد روايات عجيبة وغريبة، ناسبا إياها إلى أصحابها مثل: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، ومحمد بن إسحاق، بل ويصرح أن ذلك من الإسرائيليات فيقول: " وقرأت في الإسرائيليات"، بل وينقل من التوراة فيقول: "وقرأت في التوراة" وغير ذلك من العبارات التي تفيد النقل منها.

وبالاستقراء شبه التام لأغلب مواطن توظيف ابن ظفر للإسرائيليات يجعلنا نستنتج أنه لا يقف منها موقف المتفحص الناقد إلا في مواضع معدودة – كما سيأتي

(14) – اللوحة 241م 2/ و 42 ت.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيانه إن شاء الله-، ولعل ذلك راجع إلى اعتماده منهج الأخباريين الذين يكتفون بنقل كل ما قيل، دون تكلف عناء التمحيص، وتمييز الصحيح من السقيم، وإسناد عهدة ذلك إلى القارئ والله أعلم وأحكم.

وهذا مما قد يعاب عليه في تفسيره، لأنه اكتفى بسرد الروايات دون التعليق أو التنبيه عليها، وإليك ما يوضح ذلك من أمثلة:

المثال الأول: قصة آدم عليه السلام.

قال ابن ظفر في الينبوع في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا** ﴾ (15): " قال وهب بن منبه ما حاصله: لما تاب الله تعالى على آدم أمره أن يسير إلى مكة، وطوى له الأرض والمفاوز، فصارت كل مفازة له خطوة، فلم يضع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمرانا وبركة حتى انتهى إلى مكة، وعزاه الله تعالى بخيمة من خيام الجنة من ياقوتة حمراء، وضعت له في موضع الكعبة فيها ثلاث قناديل من ذهب من نور يلتهب من نور الجنة، ونزل معها يومئذ الركن وهو من ياقوتة بيضاء، كان كرسيا لآدم يجلس عليه، وحرس الله تلك الخيمة بالملائكة من سكان الأرض وهم يومئذ الجن والشياطين، وفي مقامات الحرس من الملائكة وضعت أعلام الحرم، ولم يؤذن لحواء عليها السلام في دخول الحرم، ولا في النظر إلى تلك الخيمة، وكان آدم إذا أراد لقاءها خرج إلى الحل، ولما قبض آدم رفعت الخيمة، وبنى أولاده مكانا بالحجارة والطين، وعلى قواعده بنى

(15) – آل عمران الآية 96.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البيت إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام"اهـ[16].

قلت: وهذا مما مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل وخرافاتهم، ولم يصح في ذلك خبر عن المعصوم ﷺ، قال الإمام ابن كثير في بدايته: " ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم، أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله "مكان البيت" فليس بناهض ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم"[17]

المثال الثاني: قصة نوح عليه السلام من سورة هود[18]

فقد أفاض رحمه الله في ذكر نسبه، وصفته، جاء في الينبوع: " ووصفه وهب بن منبه فقال: كان لونه إلى الأدمة، ما هو في وجهه ورأسه طول ما، عظيم العينين، غليظ الفصوص، كثير لحم الخدين، ساقاه وذراعاه إلى الدقة، ما هما جسيما طويلا، عريض اللحية، طويلها في غضبه وانتهاره شدة"اهـ[19].

وسنه قبل الرسالة وبعدها، وعمره قبل الطوفان وبعده قال رحمه الله: " وفي التوراة أنه عاش بعد الطوفان خمسين وثلاث مائة سنة"اهـ[20]، والتعرض للسفينة من طولها، وعرضها، ونوع خشبها، وكيفية حمل الناس فيها قال رحمه الله: " وقرأت في التوراة أن الله سبحانه أمره أن يتخذ تابوتا من خشب الشمشار، فيحمل فيه

---

(16) – اللوحة س 2.

(17) – البداية والنهاية: ابن كثير 1/ 188.

(18) – اللوحة 247 م2، و54 ت.

(19) – الينبوع: السابق.

(20) – الينبوع: 248 م2، و54 ت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جسد آدم عليه السلام. . . قال ابن عباس: أول ما حمل نوح من الدواب الذرة، وآخر ما حمل الحمار، فلما دخل صدره تعلق الشيطان بذنبه، فلم تستقل رجلاه فقال نوح: ادخل وإن كان الشيطان معك"[21] اهـ.

وعند هبوطها واستقرارها قال: " قال وهب: ذكر لنا أن السفينة استقلت بأهلها على الماء، لعشر خلون من رجب، وكانت في الماء مائة وخمسين يوما، واستقرت على الجودي قبل نزول نوح منها شهرا، وهبط نوح والمؤمنون منها لعشر خلون من المحرم"[22]. اهـ

إلى غير ذلك من الأحداث العجيبة الغريبة من الإسرائيليات الواهية، والقصص الباطلة، التي لا خطم لها ولا أزمة، ولم يقف عندها موقف الناقد إلا في مواضع معدودة منها: عند ذكره ما جاء في التوراة من استقرار السفينة، وذكر قصة الغراب والحمامة، قال عقبه: " ولولا موافقته لما عندنا في ذلك لم أذكره"[23].

المثال الثالث: قصة يوسف عليه السلام من سورة يوسف.

لقد دأب مفسرنا على نفس المنوال؛ إذ تعرض لسرد أسماء إخوة يوسف، وعدد الدراهم التي اشتري بها، واسم العزيز وامرأته، وعدد السيارة، إلى غير ذلك، بل وجاء بغرائب وعجائب كان الأحرى به أن يقف عندها، غير أنه لم يفعل ذلك، ومن تلك العجائب قوله في معرض تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا

(21) – الينبوع: السابق.

(22) – الينبوع: 248 م2، و54 ت.

(23) –الينبوع: 248 م2، و55ت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (24) "فمنهم من يسوي بين الهمتين، وهم الأكثرون، حكي أنه قيل لابن عباس: " ما بلغ من همه" فقال: استلقت له، فقعد بين رجليها ينزع ثيابه" وقال ما يؤدي معناه القرظي، وابن جبير، ومجاهد، والضحاك وابن أبي مليكة، وابن سيرين، ووهب، وتبعهم على هذا جماعة من المتأخرين عن عصرهم أخذوه عنهم، وفي لفظ حكي عن ابن عباس أنه قال: حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن"(25) اهـ.

قلت: وإن تعجب فعجب أن يورد مثل هذه الأخبار ولا يعلق عليها؛ وخاصة لما فيها من إزراء بمقام النبوة، والتنقيص من شأنهم، قال أبو حيان عند تفسيره لهذه الآية: " طول المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق" (26).

وكذلك قال في موضع آخر دون أن يعلق رغم تصريحه بأنها إسرائيليات: " وقرأت في الإسرائيليات: أن يعقوب عليه السلام كتب مع بنيه إلى يوسف كتابا، ولا يشعر أنه ابنه، يسأله أن يخلي عن بنيامين إن كان أمسكه، ويقول له في الكتاب إن إساءتك إلي وإلى ابني، لا تشبه ما يبلغني من إحسانك إلى الناس، وإنك بدأت بخير صنعته إلي وإلى أولادي، فلا تختمه بشر، وقد أمسكت أنا لساني عن شكواك إلى ربي، فلا تطلقه أنت" (27).

---

(24) – يوسف الآية 24.

(25) – الينبوع: 11 م3.

(26) – البحر المحيط 5/ 294.

(27) – الينبوع: 153 ت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المثال الرابع: أوصاف النبي ﷺ.

وروي لي أن أبا صالح قال: قال كعب الأحبار: إني أجد في التوراة عبدي المختار لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال، ويسبحونه في كل منزلة، ويكبرونه على كل شرف، يوضئون أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، وهم رعاة الشمس، ومؤذنهم ينادي في جو السماء، وصفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، رهبان بالليل، أسد بالنهار، لهم بالليل دوي كدوي النحل، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم، مولده مكة، ودار هجرته طابة، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله.

ومثل هذا كثير في تفسيره، أما بعض المواطن التي علق عليها فأهمها ما ورد:

➢ عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾ قال: " عزير عليه السلام: نبي إسرائيلي مرسل بتأييد أحكام التوراة. وقال ابن قتيبة :"إنه كان أكثر المناجاة في القدر، فمحي اسمه من الأنبياء، فلا يذكر فيهم".

ثم علق عليه فقال: "ولا وجه لهذا، إلا أن يريد أن الله سبحانه ذكر جماعة من النبيين بأسمائهم في مواضع من كتابه، ولم يذكره معهم، إذ ذكرهم باسمه"(28).

➢ وفي موطن آخر عند سرده لقصة صالح عليه السلام من سورة هود قال رحمه الله: " ومن غريب ما روي من كتب التفسير لي في ذلك أن ابن عباس قال: بعث الله تعالى صالحا إلى قومه، فآمنوا ثم مات، فرجعوا بعده عن الإسلام، فأحياه الله عز

(28) – اللوحة 182 م2.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجل، وأرسله إليهم، فأخبرهم أنه صالح فكذبوه، وقالوا: قد مات صالح منذ زمان طويل، فإن كنت صادقا فاتنا بآية، فسأل الله سبحانه آية، فأخرج لهم الناقة، فكفروا بها وعقروها"(29).

وخلاصة القول إن مفسرنا رحمه الله يؤاخذ عليه إغراقه في الإسرائيليات، ويا ليته علق عليها ليخرج من عهدة النقد كما فعل ابن كثير وأبوحيان وغيرهما.

هذا، وقد رأى أحد الباحثين أن ابن ظفر إنما أورد الإسرائيليات في تفسيره لاعتقاده بصحتها فقال: " وابن ظفر لم يتعرض لذلك بالنقد، وإنما أودعها تفسيره دون ذكر لسندها، أو بيان بأنها من الإسرائيليات؛ مما يدل دلالة واضحة على أنه **أوردها على أساس أنها أخبار صحيحة**".

قلت: هذه دعوى تحتاج إلى برهان، وحجة وبيان؛ من وجوه عدة ليس هذا مجال بسطها، وحسبي في ذلك ما ذكرته من بعض انتقاداته للإسرائيليات التي أوردها، وكذلك الأخبار المخالفة للعقل والنقل مما نكبر مثل ابن ظفر أن يعتقد صحتها والله أعلم.

(29) – الينبوع 253 م2، 54 ت.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

وجماع القول فإن مؤلفنا رحمه الله قد أغرق في ذكر الروايات الإسرائيلية دون نقدها أو التعليق عليها، وخاصة أنه كان يصرح بمصدرها فيقول:" وقرأت في الإسرائيليات"، " وقرأت في التوراة"، ولعله قصد بذلك جمع الروايات سالكا في ذلك منهج الأخباريين تاركا للدارسين والباحثين عهدة البحث والنقد.

وهذا من توصيات هذا البحث أن يعمل الباحثون على تتبع هذه الرويات في هذا السفر لبيان غثها من سمينها وقويها من سقمها .

والله اسال التوفيق والسداد

وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب

العالمين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لائحة المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ)، ت: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر ـ بيروت 1420 هـ.
- البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، ت : عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر للطباعة ، الأولى سنة 1418 هـ.
- التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي (ت 1398 هـ)، ط: مكتبة وهبة ـ القاهرة.
- المقدمة: ابن خلدون (ت 808 هـ)، ط: دار الفكر بيروت ، الثانية سنة 1408 هـ.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة ـ الثالثة 1405 هـ.
- فتح الباري : ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، ط:دار المعرفة بيروت سنة 1379 هـ، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي.
- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة (ت 1408 هـ)، مكتبة المثنى ـ بيروت ـ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

➢ مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 721ه) الناشر: دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان سنة: 1390 هـ.

➢ وفيات الأعيان : أبو العباس ابن خلكان (ت 681 هـ)، ت: إحسان عباس، ط: دار صادر ـ بيروت ـ .

➢ ينبوع الحياة في تفسير القرآن الكريم: مخطوط، حقق جزء كبير منه من لدن مجموعة من الباحثين بجامعة المولى إسماعيل بمكناس ـ المغرب ـ لنيل شهادة الدكتوراه لم يطبع بعد.

➢الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد بن محمد أبو شهبة (ت 1403 هـ)، ط: مكتبة السنة ـ الرابعة ـ.

➢الأعلام: خير الدين الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ)، دار العلم، مايو 2002م.

➢الجامع الصحيح (صحيح البخاري): الإمام البخاري (ت 256هـ)، ط: دار طوق النجاة، الأولى 1422 هـ، شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا.

هذا الكتاب منشور في